

دوائر التدين ودوامات العنف في رواية عزازيل لـ: يوسف زيدان

د. زكية بجة

جامعة تيزي وزو

Abstract: The speech of violence is one of the most dangerous ones at the individual and collective level, and it becomes more dangerous when it is related to religion discourse in order elicit emotions for political purposes. The Yusuf Zidane's novel (Azazil) one of works that deal with the violence discourse based on religious in its various forms.

نالت رواية عزازيل الجائزة العالمية للرواية العربية (البوكر العربية) سنة 2009م، كما نالت النسخة الإنجليزية منها جائزتي (أنوبي)¹ سنة 2012م، و (بانيبال)² سنة 2013م. وإلى لحظة كتابة هذا البحث، تكون قد صدرت الطبعة الثامنة والثلاثون³ منها. كما تمت ترجمتها إلى أكثر من 30 لغة، كالألمانية، والإيطالية، والروسية، والعبرية.. . وقد ألهمت الرواية بطرحها الجريء الكثير من الأقلام للتدارس، والنقد، كما تعرضت للتهجم⁴ هي وكاتبها، الدكتور يوسف زيدان. ولكن السؤال الجوهرى بشأن رواية عزازيل، يمكن طرحه من زاوية أخرى ذات أهمية بالغة، والمتمثلة في ماهية القيمة الفنية، والجمالية لأن يكتب مسلم عن المسيحية؟ ألا يكون ذلك تجاوزا للحدود الفاصلة وخروجا عن الذاتية لصالح التألف الإنسانى، بغية تقديم رؤية مغايرة للعالم، تجمع، وتوحد، بدل أن تفرق وتشتت. وهنا يمكن أن تتبثق مالا نهاية من الأسئلة الفرعية، وكذا مالا نهاية من احتمالات الأجوبة، على اعتبار أن الكاتب ليس عادياً⁵، فهو متخصص في تحقيق المخطوطات التراثية، متبحر في تشابكات النماذج الدينية، هذا من جهة أولى، ومن جهة ثانية، فإن الأدب هو أحد أهم المجالات الخصبة لإعادة موضوعة الأشياء، وتقديم صورة مغايرة للإنسان في عمق تجربته الوجودية.

تناولت رواية عزازيل موضوع الدين كرؤية اختلاف متغلغلة في الفعاليات الفكرية والثقافية الظاهرة و المضمرة؛ فتتبعت تشكل البنيات الأساسية، ونمو الأشكال المتجاوزة والشكاكة، في مقابل البنيات الراضة والمتمردة، وبرزت المسيحية في الرواية كنموذج للصراع والعنف الدائر بين الكنائس المختلفة بسبب تباين رؤاها بشأن القضايا الكبرى في الدين المسيحي. وسنحاول من خلال هذه الدراسة تتبع الإجراءات اللغوية، والأشكال التواصلية التي اشتغلت عليها لغة الرواية لتصوير فكرة العنف الديني، في أصوله الأولى على مستوى الذات الفردية، وفي دوائره الموسعة، على مستوى الكنيسة، والمجتمع، والدولة (الإمبراطورية)، من خلال تتبع مضمرة الخطاب، لاستكشاف المسكوت عنه⁶، مستعينين بنظرية السياق في شكلها اللساني، والعام، ومستهديين بالآليات السيميائية، وتداوليات الخطاب.

1_ أزمة العنف، ثلاثية الإخفاء في رواية عزازيل: توحى الرواية في أسطرها الأولى بأنها عبارة عن ترجمة لمجموعة من اللغائف (الرقوق) الأثرية التي تم اكتشافها في منطقة بين حلب وأنطاكية، داخل صندوق خشبي مزخرف، ومحكم الإغلاق. وقد قامت مقدمة المترجم، بمراوغة فنية لربط القارئ بالأصول القديمة للرواية، وكذا إضفاء طابع المصادقية، والقيمة المعرفية عليها. كما أن هذه الطريقة كثيرا ما استعملها الأدباء بغية نزع السلطة عن المؤلف، ومنحها للقارئ، فما الكاتب إلا ناقل أمين لما تمت كتابته في الأزمنة السحيقة.

تمت كتابة هذه الرقوق في النصف الأول من القرن الخامس الميلادي، وكان اكتشافها في شهر ماي سنة 1997 ميلادية، وهي مكتوبة بالسريانية القديمة (الآرامية)، وقد لاحظ المترجم الحواشي والتعليقات على الرقوق باللغة العربية، كتبها راهب عربي في حدود القرن الخامس الهجري⁷، وقد صرّح في الصفحة 69 من الرواية في تعليق

بأنه ينتمي إلى كنيسة الرُّها النسطورية⁸. و عمل المترجم على نقل بعض من حواشيه الخطيرة، وتعمّد عدم نقل البعض الآخر مما يراه بالغ الخطورة. كما يخبرنا بأن هذه الترجمة هي الأولى من نوعها لهذه الرقوق، وقد دامت سبع سنين⁹.

يتضح من هذه المقدمة أن الرواية تجمع بين ثلاثة أزمنة حضارية، هي:

أ_ زمن الكتابة السريانية، وهو النصف الأول من القرن الخامس الميلادي، وهو بداية عصور الظلام والصراع الدموي في الثقافة المسيحية.

ب_ زمن التعليقات والهوامش العربية، وهو القرن الخامس الهجري¹⁰، ويمثل فترة توسع الدولة الإسلامية، ولكن هي كذلك فترة شهدت الصراع المسيحي الإسلامي، فيما يسمى بالحروب الصليبية¹¹.

ج_ زمن الترجمة: 04. أبريل 2004م، وهو ما يسمى بزمن العولمة، والذي برز فيه الصراع الإسلامي - إسلامي، كظاهرة عنفية مرجعها الخلاف الديني.

نلاحظ أنه في الزمن الأول، يقوم الكاتب(هيبا) بدفن الرقوق، في صندوق خشبي، أحكم إغلاقه. وفي الزمن الثاني، يضع الراهب العربي تعليقاته وحواشيه، ويعيد دفنه مبرراً ذلك بأن أوان إظهار هذا الكنز لم يأت بعد. وفي زمن الترجمة، يدفن المترجم جزءاً من التعليقات العربية، ويبرر عدم إيرادها بأنها في رأيه بالغة الخطورة.

إن مقدمة المترجم بهذا الأسلوب المُرَاوغ، والموحية بالامتداد الشاسع في الأزمان المختلفة، تضع القارئ في جو من التشويق، والرغبة، وتعمل كأرضية معرفية تجمع بين سياقات سياسية، وثقافية، متنوعة، ما يجعل النص مفتوحاً على احتمالات معنى متشعبة، لأن المسكوت عنه تبديه الغاية من إخفاء الرقوق في كل مرة، ما يحيل على أنماط من الاكراهات العنيفة المانعة للإظهار في الأزمنة المختلفة. فالمشترك بين الأزمنة الثلاثة _ رغم تباعدها_، هو عنصر الإكراه، والذي هو شكل من أشكال العُنف؛

حيث يتعرض الإنسان لضغوط خارجية، تجربته على فعل أو قول ما لا يرغب، أو على عدم فعل أو عدم قول، ما يرغب في فعله أو قوله. يبدو أن قمع الإنسان وإرغامه على السكوت، هو أمر مستمر لم تغيره حتى التطورات الكبرى في زمن العولمة.

تنأسس رواية عزازيل كما (ظل الأفعى)¹²، على السؤال، فهي تقدم نفسها كسؤال كبير حول الإنسان، ذلك الإنسان الروح، والإنسان الجسد، في محاولة لسبر أغوار النفس من بوابة الدين كسلطة روحية وجسدية في آن واحد. والرواية لا تقول ولا تقرّر، ولا تحدّد، هي خارج التوظيف التاريخي، والايديولوجي، والاجتماعي، إنها محاولة لصياغة رؤية مختلفة للعالم¹³، بمؤشر البطل المتدين.

2_ العنوان كمؤشر تكثيف رمزي يختزل النص: عزازيل هو اسم للشيطان في التوراة اليهودي، وقد انتقلت هذه التسمية إلى كل الثقافات، وهو ذاته الشيطان الذي أغرى آدم وأخرجه من الجنة، وهو ذاته المرافق لكل إنسان في كل حياته حسب الثقافة الإسلامية، وهو الأمر الهام جداً لأن يستهل به المؤلف روايته، من خلال حديث نبي شريف، يقول: " لكل امرئ شيطانه، حتى أنا، غير أنّ الله أعانني عليه فأسلم.."¹⁴؛ فقد خصص المؤلف صفحة كاملة لهذا الحديث الشريف الذي يبين دلالة عزازيل الشيطان في الثقافة الإسلامية، في حين أن مضمون الرواية عن المسيحية، ليضعنا أمام عتبة تساؤلية بشأن هوية عزازيل المترامية الأطراف في دلالاتها الثلاثية الممتدة في الأديان السماوية الإبراهيمية الثلاثة، فهل هو مسيحي؟، أو هو مسلم؟، أو هو يهودي؟، أو أنه ثلاثتها؟؛ فإذا كان عزازيل العنوان عامّاً، فإن عزازيل الذي يستهلّ الرواية مسلّم، وعزازيل المتن الروائي مسيحيّ، وعزازيل البداية والنهاية وخاتمة القول في الرواية يؤكد أنه هو الإنسان في نموذج هيبا بطل الرواية. وتجدر الإشارة هنا بأن (الشيطان) ورد في النص القرآني بصيغة المفرد والجمع، وكذا ورد بلفظ (الجنّ)، و منهم الصالحون وما دون ذلك، وهو

أيضاً قريب من الإنسان ويتحاور معه¹⁵، وهو ما نلاحظه في علاقة عزازيل بالبطل (هييا).

يزخر العنوان بشحنة من الحيرة، والتشويق ما سمح له بأن يشغل حيزاً إشهارياً معقولاً، ولربما كان عزازيل أحد أسباب انتشار الرواية. والمطلع على فكر يوسف زيدان¹⁶ وخاصة كتابه: اللاهوت¹⁷ العربي وأصل العنف الديني¹⁸، سيرى مدى الصلة الوثيقة بين الإطار المرجعي للكتاب_ الذي يصف العلاقة بين اللاهوت المسيحي وعلم الكلام العربي_، وبين الفسحة الفنية لرحلة الاغتراب الوجودي في نموذج الإنسان المتدين الذي صاغته الرواية في شخص الراهب هييا المسيحي، والذي لا يختلف كثيراً عن أي إنسان آخر يعيش في دوامات الدم والعنف الديني، بما في ذلك الإنسان المسلم، وإذا كان احتمال أن يكون عزازيل مسلماً وارداً، و إذا كان عزازيل هو هو الإنسان (هييا)، فإن هييا الإنسان من المحتمل كذلك أن يكون مسلماً أو يهودياً، على اعتبار أن عزازيل هو أيضاً مسلم، وهو توراتي في آن واحد؛ فيصبح عزازيل هنا بوابة تتفتح دلالاتها على الأديان الثلاثة بعلاقة رمزية مسترسلة، توميء، وتشير، ولكنها تقول ولا تُفصح، توحى، وتظلل، ولكنها تنبئ ولا تُخبر.

3_ سيميائية الإهداء:

" إهداء خاص جداً :

إلى آية..

تلك يا ابنتي، آيتي، التي لم تُجعل للعالمين !"

يوميء الإهداء مباشرة بعد حرف الجر "إلى"، إلى احتمال معنى ديني، تماشياً مع المسار العام للنص، فالآية هي المقطع من كلام الله المقدس، سواء في القرآن، أو في الإنجيل. ويشير السطر الثاني من الإهداء إلى إلحاق الآية بالمتكلم (آيتي)، وإذا أخذنا

بعين الاعتبار المعنى السابق، فإن التركيب الإضافي، حين ربط بين ضمير المتكلم والآية، فهو يرنو إعادة ربط العلاقة بين المقدس (آية) والإنسان (ي)، مع التأكيد على إخراج العالمين من العلاقة بالآية، فهم غير معنيين بها، وهي مجعولة فقط للمتكلم. و بشكل ما يتضمن الإهداء معنى التواصل المباشر بين الله من خلال (آية)، و الإنسان دون تدخل من العالمين، وهي الحال المانعة لتشكل العنف الديني، لأنها تستبعد النمط (إنابة، إبادة)، الذي سنحلله لاحقاً.

4_ التاريخ جغرافيا الأرض، والكلمة سلطة التاريخ: استعانت الرواية بالتاريخ لتتبرر الجوانب المظلمة، وتجلي المساحات الباهتة، متجاوزة النظرة التقليدية للتاريخ كخطية زمنية ممتدة في الماضي البعيد، بل تناولت التاريخ كجغرافيا متداخلة المساحات الثقافية والفكرية، إنها الأراضي المتفاعلة فيما بينها بشكل حيوي، فالتاريخ ليس مجرد فترات زمنية، بل هو كذلك جغرافيا ثقافية، ولا مجال للفصل بينهما، وهو ما يُطلق عليه الباحث يوسف زيدان **التراثيات المتزامنة والمتعاقبة**، ويشرحه بالتفصيل في كتابه: **اللاهوت العربي وأصول العنف الديني**، ويصف هذا التداخل بشكل دوائر إهليجية متداخلة¹⁹، وكذلك يرفض إدوارد سعيد خطية التاريخ عند هيفل، وماركس، ولوكاش، ويرى أنه ذو طبيعة جغرافية، يقول: "لكن ما أحدثت عنه فعليا أقرب بكثير إلى فهم غرامشي²⁰ للتاريخ، وهو جغرافيٌّ وذو علاقة بالأرض بشكل أساسي. إنه تاريخ متألفٌ من دوائر متداخلة، بحيث يتم النظر إلى المجتمع على أنه أرضية لعدد من التحركات. النظر إلى التاريخ باعتباره دوائر متداخلة متنازع عليها يثير اهتمامي أكثر من النظرة الزمنية المعتمدة على الأصل والمنشأ، إنه أعجوبة وإبداع"²¹؛ فنجد الرواية تتناول التداخل الثقافي والديني بين عدة نماذج، لا تلغي بعضها البعض دفعة واحدة، رغم بروز خاصية

الصراع والرفض بينها، بل هي في حقيقة الأمر تنبثق عن بعضها البعض، وتؤسس بنياتها العميقة على التأثير المتبادل.

إن أهم مكان في الرواية يجسد الدوائر الجغرافية للتاريخ هي الإسكندرية، فحين دخل هييا الإسكندرية، وجد نفسه أمام ثقافات متنوعة، فليس الجميع مسيحيين متدينين، بل فيهم الوثنيين، وهم غير المسيحيين. و يمكننا رؤية تقاطع الدوائر في الرواية، من خلال عدة نماذج فردية وجماعية، كمثال كاهن الكنيسة الكبيرة في أخميم، الذي كان مصرياً غير مسيحي، ولما تمسَّح صار ينافح عن الدين المسيحي ضدَّ الوثنيين، يقول: "سيأتي اليوم الذي لن نسمح فيه للوثنيين ولا لليهود بالمبيت في الإسكندرية ولا في المدن الكبيرة كلها، غدا سوف يسكنون جميعاً خارج كل الأسوار، وتكون المدن كلها لشعب الرب"²²، وهو ما يمثل انتقالاً على مستوى الدوائر، سيسهم لاحقاً في تشكيل نماذج الجماعة، فالكاهن القبطي كان خارج أسوار المدينة في زمن مضى، يمتن (خطاب الرفض)، يقول: "إن الكنيسة من يوم إنشائها ولزمن طويل تال، لم تكن تسمح بمبيت أمثالنا نحن المصريين داخلها"²³، وهو هنا يضعنا أمام مفارقة لطيفة تتجسد في فكرة التمثُّل لخطاب السلطة (خطاب التطويع)²⁴، فعلى المستوى الشكلي الخطابي نلاحظ التناقض الصارخ في موقف الكاهن؛ فهو من جهة يرفض موقف الكنيسة، ومن جهة أخرى يُمارسه، حيث تمثُّل موقف الكنيسة الإقصائي رغم أنه كان من المقصيين سابقاً، وهذا يبين مدى التأثير الذي يمارسه الفكر الكهنوتي على أتباعه بعمل فرمته للذاكرة، و امتهان الدراجماتية والإقصائية لبلوغ أهدافها باخضاع خراف الرب، حيث يردف الكاهن كلامه بالقول: " ثم تغير الموقف مع الأيام، فصارت المدينة بعد انتشار ديانتنا مفتوحة للجميع"²⁵، فنراه ينسب الدين المسيحي للمصريين بقوله: (ديانتنا)،

بعدها كان قبلاً يشتكي من الكنيسة، وينسب نفسه للمصريين (لم تكن تسمح بمبببت أمثالنا نحن المصريين).

يتضح من المثال السابق، تغيير المواقع عبر الدوائر التاريخ - جغرافيا، فالكاهن الذي انتقل من محل خارج الأسوار إلى داخل الأسوار، قام بتغيير المقصدية الخطابية، بعدما جرى تغيير على مستوى السياق. فخطابه يمثل اشتغالا فاعلاً على مساحات التأثير ثم التأثير عبر مسار تغيير التصورات الفردية، تبعاً لنظام السلطة السياسية السائدة، أو تماشياً مع القناعات الخاصة، أو تحقيقاً لمصالح معينة؛ إنها جدلية التأثير والتأثر كنسق تداولي، تحكمه آليات الخطاب وسياقات التعايش أو حتى سياقات الصدام، وهذا الذي يحدث على مستوى الأفراد شبيه إلى حد ما بما يحدث على مستوى الجماعات، وإذا ما تحقق التكافؤ السلطوي، بين دائرتين متناقضتين، قد تحدث المواجهة العنيفة اللغوية والواقعية بينهما، كما هو الحال في العنف الذي وقع بين نسطور وكرس.

5_ متلازمة الإنابة والإبادة في دوامة الفكر/ كُفر: تتأسس الإنابة على فكرة الذنب والإثم؛ لأن " الإثم هو التجارة السرية لما يسمى بالمؤسسة الدينية. إنه أسلوبهم، جعل البشر يشعرون بالذنب ويلومون أنفسهم. إنهم يشعرون دائماً بأنهم مُتهمون. هذا ما تريده المؤسسات الدينية، تريد البشر أن يشعروا أنهم لا يستحقون نعمة الجمال، ولا نعمة الله، وبأنهم مجرد قطع حديدية صديئة. وهكذا يتحول هؤلاء البشر إلى باحثين عن مرشدين يُرشدونهم إلى طريق الخلاص، عن من يعتمدون عليه. إن مثل هؤلاء، استغلوك لقرون، وما يزالون يحاولون استغلالك"²⁶. هؤلاء هم من يُتسمون بالكهنة، لأنهم يقحمون أنفسهم في العلاقة بين الله والإنسان، التي هي في الأصل شأن إلهي غيبي.

تغوص الرواية في ثنايا الصراع المسيحي، من خلال وصف دقيق لمتلازمة (الإنابة والإبادة)، التي هي سبب نشأة العنف؛ حيث أن " لله دوما عند المتدين نائِبٌ،

وممثل إنساني، وناطق بلسانه العالي.²⁷، فيتعدد النواب الممثلون لله السماوي في الأرض، وتتصادم التصورات والأفكار، يقول نسطور في حوار مع هيبيا: "أطراف الدولة أنهكتها غارات البرابرة وقبائل الشمال، والأكراد في الشرق لا يهدؤون، وكذلك القوط في غالة. وأما مدن المسيح الكبرى، فهي مُترعة بالدسائس والفتن الخفية وأسودات الظنون. وأخبرني بأمر كثيرة، تصطبخ في العالم الذي انزويثُ عنه.."²⁸ ؛ فهذه الأسطر تصور مدى سريان العنف وتغلغله في مفاصل الإمبراطورية، وفي المجتمع بكل أطيافه المسيحيين وغيرهم. وكذا نقشي الكيد، والحقد بين أقطاب الإمبراطورية المسيحية الكبرى، فكل طرف يرى بأنه ينوب عن الله للدفاع عن الدين، ووجب عليه إبادة الأطراف الأخرى.

تفتحم الرواية المسكوت عنه في الخطابات المتداولة؛ فتسرد بأسلوبية مضمرة، أو تلميحية، مكامن الزيف، ومواطن التحريف في الخطاب الديني التابع للسلطة، كسلوك إقصاء، يتجه في مراحل النهائية إلى العنف، في مقابل الخطاب الديني الأصلي الداعي للمحبة؛ وقد كان الحوار بمثابة استراتيجية سردية مقصودة، لوضع المتلقي كطرف مشارك في صناعة الخطاب، من خلال جعله عنصراً فاعلاً في بناء منظومة المساءلة²⁹، التي تزخر بها الحوارات النصية، حيث "إن النص يتميز عن سواه من نماذج التعبير بتعقيده الشديد بما لا يُقاس. أما علة التعقيد الأساسية، فتكمن في كونه نسيج ما « لا يُقال »"³⁰. وتبرز قضية العنف في الرواية عبر مسار خطين مستقيمين، هما الإنابة في مقابل الإبادة، فيتم تبادل الأدوار بينهما بنظام رمزي يحافظ دوماً على مسافة الخلاف بينهما، لأن كل إنابة هي بالضرورة دعوة ضمنية لإبادة الطرف الآخر. تفصل الرواية سبب هذا الهرج والمرج في أنه ناجم عن الخوض في فكرة الأقانيم³¹ الثلاثة التي صيغ منها قانون الإيمان الشهير قبل مائة عام في مجمع نيقية³² الذي

ينص على رفض الخوض في طبيعة المسيح والأقانيم، و"قبل بضعة أشهر نهاه رئيس الدير نهيا قاطعا عن الخوض في تلك الأمور الأيقونية، وعَنف بقية الرهبان على إثارتها معه، فانصاعوا. ومع ذلك، التصق وصف فرّيسي الأَقنوم به، حتى بعدما حُضر الكلام حول الأَقانيم"³³ فأصل العنف هو أفكار مخالفة للمألوف، ولكن هذا التشدد في رفض الاختلاف هو ذاته الذي أنتج خطابا مضادا تمثل في الخوض في الأَقانيم.

ينسحب خطاب العنف من القاعدة إلى القمة على مستوى أعلى في السلطة السياسة، وتتبلور سلطة جديدة في مواجهة السلطة القائمة مجسدة مواجهة مباشرة تتمثل في ممارسة الإقصاء مرة أخرى بنفس درجة العنف والرفض؛ يقول السارد على لسان هيبا: "إذ كانت تأتينا من القسطنطينية أخبار غير مريحة، وغير مفهومة أحيانا بالنسبة لي، من ذلك أن الأسقف نسطور، عقد هناك مجمعا محليا، جرد فيه بعض القسوس من رتبهم الكنسية وحكم عليهم بالطرد، لأنهم لم يوافقوه على رأيه القائل إن العذراء مريم، هي أم المسيح، خريستوتوكوس"³⁴ ! وأصروا مجتمعين على ما يعتقدونه ويعتقده عوام الناس، من أن العذراء هي ثيوتوكوس³⁵، يعني أم الإله.. كما وصلنا أن الأسقف نسطور، هدم كنيسة للأريوسيين في القسطنطينية، واستصدر قرارا من الإمبراطور بمطاردة أتباع أريوس³⁶. وأن الأسقف نسطور، أعلن الحرب على أتباع كنيسة الأَطهار³⁷، وحكم عليهم بالهرطقة، والخروج من حضيرة الإيمان القويم!"³⁸.

تمضي الرواية في وصف المسار الأفقي للرؤية الدينية؛ حيث يخفي الجزء العمودي تماما من رمز الصليب، أي الخط الشاقولي السماوي، ذي الطابع الروحي، فاسحا المجال أمام التوسع الأفقي، ممثلا في التمدد الجغرافي من خلال التفوق العسكري، فتظهر التحالفات والترتيبات في سبيل قتل الطرف الآخر والغائه؛ يقول نسطور موجها كلامه للإمبراطور: "ساعدني في حربي ضد الكفر، أساعدك في حرك

ضد الفرس. أعطني الأرض خالية من الهرطقة، أعطيك مفاتيح السماء ونعيمها المقيم"³⁹، ويعلق هيبا على ذلك، مبدياً رفضه لأفعال صديقه نسطور، يقول: "إن صح عنه مثل هذا القول العجيب، صح عندي أنه تغير عن الحال الذي عرفته عليه، وصار يطلب الأرض لا السماء.. وذلك مما لا أحبه له."⁴⁰.

يبدو خطاب نسطور، مفعماً بعناصر السياسة، كالحرب، والتعاون العسكري، والتحكم بالأراضي، وتبادل المصالح، وتوازن القوى الجيوسياسي. فالعنف المتبادل يدّعي أنه ديني، ولكنه في حقيقة الأمر سياسي بحت، من حيث أنه صراع من أجل السلطة، والنفوذ، والسيطرة، وكل الحروب المسماة دينية، هي سياسية بالأصل، وقادتها كانوا عسكريين، وملوكاً، سواء في ذلك الصراعات في الدين الواحد كما وقع بين الكنائس، أو بين الأديان المختلفة كما في الحروب الصليبية⁴¹.

إذن يعمل كل طرف في الصراع على حشد ما تيسر له من معطيات دينية للفتك بالطرف الآخر باسم الإله، فنسطور يحارب المهراطيين، وهو في نظر الطرف الآخر (كرئس) مهرطق كذلك، فيحشد جملة من المبررات لحرب نسطور الكافر، يقول: "لن يكون كافياً لتقواك، الإقرار معنا بقانون الإيمان الذي أُرسى بالروح القدس، في مجمع نيقية العظيم أثناء الأزمة الحرجة. إنك لم تفهمه ولم تفسره تفسيراً صحيحاً.. ولا بد من الاعتراف بأن تعاليمك ممقوتة وكافرة."⁴²، وتأتي ردة الفعل بتصعيد نبرة العنف من مناصر نسطور: "فجأة انبرى الكاهن انسطاسيوس، وانطلق من فمه الكلام كما تتطلق ألسنة اللهب: فلنقاوم على الفور هذا العدوان، ولنقف في وجه جميع المارقين، القائلين بأن العذراء هي أم الإله (ثيوتوكوس) فالعذراء امرأة من النساء، مجرد امرأة من النساء، ومن المستحيل أن يولد الله من امرأة"⁴³. فما إن تحين الفرصة لنسطور، حتى يرد العنف بالعنف، والرفض بالرفض، "وقد استبدت به (نسطور) بعد توليته هذه السلطة)

اعتلاء كرسي الأسقفية بعاصمة الإمبراطورية القسطنطينية سنة 428 ميلادية) أحوال حادة، خاصة مع قوة صلته بالإمبراطور، فعمم على الناس مكتوبا، يحضر عليهم فيه تسمية مريم العذراء بلفظ (ثيوتوكوس) أي والدة الإله، ذلك لأن الإنسان الذي هو مريم لا يمكن له أن يلد الإله.⁴⁴

إن الرواية حين تستفيض في بيان العنف المتبادل بين أطراف النزاع فهي تقوم بعملية حفر في البنيات العميقة المؤسسة للعنف الديني، خاصة وأن كلا الطرفين يحتكم لذات المرجعية الدينية المسيحية، ما يفتح المجال لكم من التساؤلات، بشأن التركيب الأولي لطبيعة هذا التدين المؤسس على رفض الاختلاف، وأسباب تبني وجهة النظر الموحدّة المفروضة قسرا على الجميع. ويتدخل العنصر السياسي يصير العنف خاضعا لدوران المصلحة، فتغدو الحرب قضية بقاء، لا مجرد حرب أفكار، ولا فرق في هذه الحال بين جميع الأديان، بل إن رفض الاختلاف هو ذاته الحرب حتى وإن كان داخل الدين الواحد، كما هو الشأن في الإسلام بين الشيعة، والسنة، الشبيه إلى حد كبير بالحرب الطويلة بين الكاثوليك، والأرثوذكس، والبروتستانت⁴⁵.

يصير السبيل الوحيد للفكاك من العنف الديني هو التحرر من الارتباطات السياسية المتعلقة بالتدين، ومحاولة التواجد في الحالة الأولية لما قبل التدين، يقول يوسف زيدان بشأن كتابه: اللاهوت العربي وأصل العنف الديني: "عبر الفكاك المؤقت من أسر التدين والإدانة، نسعى في هذا الكتاب إلى رصد الوصلات العميقة بين اليهودية والمسيحية والإسلام، والبنيات العامة الحاكمة، والارتباطات العميقة ذات الجذور التاريخية المظمورة، بين الدين والسياسة، وبين التدين والعنف، وبين التعصب والتخلف."⁴⁶، وحيث أن عبارة ماركس الشهيرة: "الدين أفيون الشعوب"، قد تم فهمها

بالطريقة المسطّحة والمبسطة، في حين أن دلالاتها توّول في هذا التوجه بالضبط؛ حيث الدين قوة حقيقية في يد السّاسة.

يسمح الفكك من التدين، - ولو مؤقتاً- بتفهم القوة العظيمة التي تختزنها الكلمات، خاصة منها تلك المشحونة بمحمولات القداسة الدينية، إلى حد يمكن فيه للكفر أن يكون ديناً، وقد صرّحت آية قرآنية بذلك دون تشفير، يقول يوسف زيدان: "ومع أن الإسلام أشار إلى الديانات الأخرى، بل عدّت الآيات القرآنية الكفر ديناً، حسبما تؤكد سورة الكافرون التي ورد فيها (لكم دينكم ولي دين)، الكافرون: آية 47"06⁴⁷ وورد أن يكون أجدادنا أكثر تديناً منا لأنهم أكثر انسجاماً مع عناصر الكون " نعم، إن أسلافنا الوثنيين كانوا فعلاً يعيشون في اتحاد مع العوالم الأخرى، وكانوا يعرفون كل شيء عن بنية العوالم، والقوى والمحركات المكونة منها."48⁴⁸ وهذا ما أشارت إليه الرواية في عدة مواضع، كوصف شخصية أوكتافيا الطيبة، وسيدها الصقلي الوفي لزوجته وقلبه، وكذا الإنجازات العظيمة للوثنيين، من معابد، ومسارح، وقصور، وتمائيل، في حين كانت الكنيسة تُطلق صفة الوثنية على كل ما هو ومن هو غير مسيحي وتقصده به صفة الكفر التي تتجاوز مجرد الاختلاف، لتدخل مجال الخلاف، ثم اللعن، ثم الرفض، والإقصاء المعنوي والمادي. ويبدو أن المقارنة البسيطة بين الوثنية، والأديان التالية لها تُظهر مدى دموية وعنف هذه الأخيرة.

إذن يبدأ العنف الديني من الكلمات برفض الاختلاف، من خلال تبني فكرة " الإنابة"، و يتجه من اللغة إلى الواقع برفض حامل الفكرة، وبعد تبادل التهم بالتكفير والمروق والهرطقة، يغدو الجميع يكفّر الجميع، والكل يرى الكل مُهرطقاً، ويصبح العنف متبادلاً بين الفريقين "وعجلة العنف تتسارع بفعل تغذية الطرفين للنار التي شبت بالحقد المتبادل، الذي يصير معه العنف لدى الجماعة الدينية (جهادا مقدسا) ذا آليات ذاتية

التشغيل والتوالد، وتراه السلطة السياسية (معركة بقاء) لا يجوز مناقشة دوافعها ومشروعيتها، ولا تترك حيزا للتفاوض، أو حلما بعودة التوازن، أو إثارة الاعتزال من جانب بعض الأطراف. فمن ليس معنا، هو ضدنا !⁴⁹

هكذا ابتدأت عصور الظلام، بظلم الكلمات، وتحميلها رغبات البشر، فكل من تداول كلمات غير معتادة، دون موافقة من السلطة السياسية، يُعدّ كافرا، ومارقا، ومهرطقا؛ أي أن الكلمات تعيش تحت مظلة السياسة، ويُمنع تداولها خارج قانون الكلمات الذي وضعته السلطة السياسية لحماية مصالحها الاقتصادية والجغرافية. فكل تكفير يُقابل بالتكفير المضاد، وكل رسائل حُرُمات (الأناثيما)⁵⁰ كنسية، تقابل بحُرُمات مضادة، وكل عدوان بآخر، إلى أن غرق جميع الأطراف في حمام من الدم، والجميع يدافع عن الله، وكأن الله عاجز عن الدفاع عن نفسه، فأنايهم عنه ليقوموا بمهامه، يقول إدمون رباط "لم ير التاريخ بهائم متوحشة، أشد افتراسا وقساوة من المسيحيين، بعضهم لبعض"⁵¹.

كانت نتائج الصراع المتبادل وخيمة على التعايش الإنساني، وحُرمت الإنسانية من تقاسم المعرفة، فقد تم النظر للمعارف السابقة على أنها خطر على الدين الجديد. ووصف المشتغلون بالعلوم غير الدينية بالمهرطقين، وتصور الرواية فاجعة تقطيع، وحرق الفيلسوفة المصرية هيباتيا⁵²، وهو أكثر مشهد أترّ في بطل الرواية، فقد كانت الواقعة قمة العنف؛ حيث وقف أهل الإسكندرية ضدها، إلا أوكتافيا الوثنية، يقول الراوي: "صارت هيباتيا عارية تماما، ومنكّومة حول غريها تماما، ويائسة من الخلاص تماما، ومُهانة تماما... وهكذا عرفتُ يومها معنى كلمة السُّحل...بعدها صارت قطعة، بل قطعا، من اللحم الأحمر المهترئ... ثم.. أشعلوا النار.. وسكتت صرخات هيباتيا.."⁵³

، وسكت كل صوت، وكل سؤال، وكل منطق، وكل فلسفة، وسكت الضمير، وسكت العقل، وسكتت الإنسانية.

6_ تشظي الأنا في الصليب: يُمثّل رمز الصليب حال التوازن⁵⁴ بين الجانبين الروحي (الشاقولي)، والمادي(الأقفي)، وكل إهمال لأحد الجانبين لصالح الآخر، يُعدّ خروجاً إلى منطقة التيه، وعدم التوازن، وهذا ما وقع لبطل الرواية هيبا، فهو إما منعزل مطمور الجسد، دائم الصوم في صومعته، أو أنه منغمس في ملذات المادة، دون وعي، مثلما تعامل مع أوكتافيا، وميرتا. وهذا راجع إلى طبيعة الفكر الذي تلقاه منذ الصغر في الكنيسة بأن الإنسان، وُلد مع الخطيئة، وهي أساس فكرة المعمودية⁵⁵، أي الانتقال من الوضع الأفقي (جسد الخطيئة) إلى الوضع العمودي (روح المسيح). وهو شكل عُنفٍ ممارس بتطويع الجسد، "العمادُ ميلادٌ". هو قيامةٌ للروح من موات الجسد⁵⁶ وهذا ما جعل الإحساس بالخطيئة والذل، صفة مرافقة لهيبا طوال رحلته الوجودية، ولكن الملاحظة البارزة على شخصية البطل، رغم كل هذه المعاناة أنه يكون في أحسن حال عندما يزاول التطبيب، ويرجع ذلك لكون هذه المهمة تسمح له باسترجاع الوضع الطبيعي له كانسان روحاني، بعطفه ورفقه بالمرضى، وكانسان مادي يقوم بممارسة فعل واعي ذي قيمة اجتماعية.

يواصل هيبا رحلته، باحثاً عن الأجوبة لأسئلته، فإذا به لا يلتقي إلا مزيداً من الأسئلة، مثل الموقف الحواري الذي جمعه برجل مصري بسيط: "همس لي الرجل بأن في بلدتهم مسوخا كثيرة. وعلى رأس الجبل كنيسة يسكنها الرهبان، اسمها كنيسة الكف؛ لأن يسوع حين مر هناك أثناء رحلة العائلة المقدسة إلى مصر، ترك بها أثر كفه على حجر لان له، لتكون معجزة وعبرة للآتين من بعده. أضاف: كما ترك هناك عصاه التي كان يهشُّ بها على غنمه. قلت للرجل الذي ما عدت أتذكر اسمه:

_ لكن يسوع المسيح لم يأت إلى مصر، إلا رضيع.

_ ما هذا الكلام يا ابن العم، يسوع المسيح عاش حياته كلها، ومات بمصر⁵⁷ !
عرفت أن الرجل لا يعرف شيئاً، أو لعله هو يعرف شيئاً لا أعرفه، أو أن كلينا يتوهم ما يعتقد أنه يعرفه. لم تكن لدي رغبة في مواصلة الكلام معه، فاعتذرت إليه برغبتي في النوم⁵⁸.

وفي هذا الحوار الذي جرى بين راهب ورجل عادي من عامة الناس تبرز معلومات غير المتعارف عليها بالنسبة لهيبيا؛ فما تتم مدارسته داخل أسوار الكنيسة، يبدو مخالفاً تماماً لما يتم تداوله خارج الأسوار، و يبدو الانشطار على الذات ملمحاً بارزاً، تحيل إليه الدالة الخطابية المتوترة: (أو لعله هو يعرف شيئاً لا أعرفه، أو أن كلينا يتوهم)، بالكشف عن جملة التناقضات بشأن شخص المسيح بحوارية ثنائية تتسم بطابع سجالي، ذي نهاية مفتوحة أمام تطلعات القارئ. والملاحظ أن هيبيا باعتباره أحد أشكال الإنابة (راهب) استحضر خطاب الرفض المموه بالرغبة في النوم؛ وهو يمثل شكلاً مبسطاً لرفض الاختلاف، بل إن مجرد الإصغاء كان يعد خرقاً لمبدأ الإنابة بالنسبة له، إنه خطاب مرفوض بالنسبة له، يززع اليقينيّات والمسلمات لديه.⁵⁹ وبهذا الشكل كان يبدأ العنف على المستويات الأعلى في الكنيسة، والإمبراطورية.

رغم الرفض، إلا أن لذه الكشف تلح على هيبيا لأن يعيش تجربته، فيقرر معايشة الناس خارج الأسوار، قبل دخول الكنيسة، فيحضر أحد الخطابات الدينية الداعية إلى المحبة الشاملة حتى للأعداء، ولكن أثناء تواجده وسط متلقي الخطاب من العامة يستكشف معهم الخطاب المضمّر المسكوت عنه ينفلت كمضمون مناقض تماماً لخطاب القس في شكل مقارنة بين المسيحيين واليهود في مجتمع متنوع الأعراق، ويتجلى ذلك من خلال خطاب ساخر لفلاح كان ينصت لخطاب المحبة الذي ألقاه أحد القساوسة،

يقول هيبيا: "بالقرب مني، همس فلاح خبيث النظرات لمن حوله، بسخرية الخراف الضالة: وهل يحب سيدهُ _ يقصد سيد القس _ كِرُّسُ، إخوانه اليهود؟ ضحك المحيطون به بتكتم، وأضاف أحدهم: طبعاً، كِرُّسُ يحبهم إلى درجة موتهم وطردهم خارج الأسوار.."⁶⁰ فهذا الخطاب الاستكاري يتداوله الفلاحون بتكتم وبسخرية ولكنه حقيقة مضمرة لا يكشفها الخطاب الرسمي، بل يتستر عليها بخطاب المحبة، في حين أن الممارسات الفاعلة في الواقع الاجتماعي تجليها بصورة لا مجال للشك فيها. إذ كيف يدعو من يمارس الكراهية إلى المحبة؟!، فسيد القس (كِرلس) يضطهد اليهود، وفي ذات الوقت يصادق على نشر خطاب المحبة؟!، وتظهر شخصية هيبيا هنا كذلك رافضة للواقع، فنجده يصف الفلاح بالخبث والضلال.

إن خطاب المحبة تفصله عن حقيقة الواقع عدة أسوار؛ حيث إن المحبة ليست شاملة وعامة لكل البشر كما يبدو الخطاب على السطح، بل هو يتراوح بين ظاهر منطوق متداول وبين آخر مضمّر يعرفه الجميع ولكنه مسكوت عنه، ولا رغبة لأحد في كشفه، فالخطاب الظاهر هو مثل خطبة القس الزاعقة وسط الناس: "أبارككم يا أبناء الله باسم يسوع الرب الإله، الرب المخلص، أمنحك البركة السماوية. يا خراف الرب، كونوا قرييين من يسوع المسيح، مثلما هو قريب منكم، الرب يحبكم فأحبوه، صلوا إليه قبل نومكم وبعد صحوكم، فتتماوا بين يدي رحمته. المحبة روح الله، فأحبوا إخوانكم وأقاربكم وأولادكم، وأحبوا أعداءكم"⁶¹. ولكن هذا الخطاب في واقع الحال يشمل فقط من كان مسيحياً، والبقية يشملهم خطاب الحرب والكراهية والعنف، كما رأينا في خطاب الكاهن المصري في إخراج الوثنيين من الإسكندرية.

يمثل خطاب الوعظ الذي ألقاه القس، نموذجاً لممارسة السلطة للعنف، من خلال خطاب التطويح؛ حيث "يُظهر المنكلم (المُطوِّع) حقائق معينة لإمالة المتلقي وجذب

اهتمامه، في حين يُخفي مقاصده ونواياه. أو بعبارة أخرى يصدع بكل ما يُحسِّن صورته لدى المتلقي، ويُسَعفه على كسب ثقته أو مودته، بينما هو في الحقيقة، يُضمرُّ له الحُبث والمكر، لخداعه وتضليله، وتدجينه⁶² فالمحبة الظاهرة في الخطاب، ماهي إلا حيلة لممارسة العنف، والإكراه الذهني، بغية تطويع السلطة للمتلقي.

تصف معاناة هيبا وتعرضه للجوع والعطش والذل، الحال الطبيعية لنمو الوعي الإنساني، لأن "أنا الإنسان تموت عندما يسقط إلى الأسفل ويحترق هناك في نار الحياة."⁶³ تلك هي المعمودية الحقيقية، التي تصدر كتجربة واقعية داخل الحياة، "ولاحظ أن المسيح كان يفعل الشيء ذاته؛ لا مسكن، ولا أملاك، ولا اسم، ولا ذاكرة، ولا شيء يمكن أن يتمسك به الأنا، ليستمر بالعيش"⁶⁴. وهو الأمر الذي قرره هيبا بعيش التجربة خارج الأسوار، فرأى، وسمع، وعاش بنفسه تجربته المتفردة، ولكنه بقي يصارع نفسه، حول التمرد، أو العودة إلى داخل الأسوار، فظل ممزقا وممتشطيا، إلا فيما ندر.

7_ نهاية عود على بدء: في نهاية رواية عزازيل، الرق الحادي والثلاثون، وبالرغم من أن المترجم صرح في البداية بان عدد الرقوق هو ثلاثون رقا، إلا أننا نجد واحدا وثلاثين رقا، وفي الرق الأخير قانون جديد للإيمان وهو القانون الثالث بعد قانون مجمع نيقية وقانون افسوس؛ وفيه يعود الكاتب إلى جدلية الأوثنة والذكورة ليجعل منها قانونا للإيمان، يقول: "نعظمك يا أم النور الحقيقي، ونمجدك أيتها العذراء القديسة، يا والدة الإله، يا ثيوتوكوس، لأنك ولدتِ مُخلصَ العالم، فأتى وخلص نفوسنا. المجد لك، يا سيدنا وملكنا المسيح، فخرَ الرسل، إكليل الشهداء، تهليل الصديقين، ثبات الكنائس، غافرَ الخطايا. ندعوك ونبشر بالثالوث المقدس، لاهوت واحد نسجد له ونمجده. يا ربَّ ارحم. يا رب بارك. آمين."⁶⁵

يعد هذا القانون الإيماني، بمثابة خلاصة لتجربة هييا الوجودية في بحثه عن ذاته أثناء ارتحاله، من كنيسة إلى أخرى، ومن مدينة لأخرى، حيث أنه لم ينج من حيرته وشكوكه إلا بين أحضان أوكتافيا وميرتا، وكأنه عاد إلى مرحلة اللاشيء، إلى ما قبل الميلاد. ونلمس فيها البعد الثنائي للوجود، من خلال ثنائية الذكورة والأنوثة، التي هي مدار تحقيق التوازن مع العالم، وبالتالي تحقيق اللاعنف؛ حيث "إن الثالث المسيحي الجديد ليس ثنويا، بل هو ذكري⁶⁶ بحث، الأمر الذي يعارض بالكامل بنية الكون. ولهذا فإن البشرية مشوهة، وهي في حروب دائمة."⁶⁷ فالموازنة بين الطاقة الأنثوية والطاقة الذكورية⁶⁸ هي أوسع من أن تكون مجرد علاقة امرأة ورجل، بل هي الحياة، وهي طريقة للنظر إلى الأشياء من زاوية تماثل الأضداد لتحقيق التكامل عن طريق التجلي والصفاء الروحي. فالعالم يعود تدريجيا إلى تحقيق القيم الأنثوية لرأب الصدع الذي سببته طاقة الذكور بجيوشها الجرارة وحروبها الفتاكة التي أتت على الأخضر واليابس عبر قرون.

بقي البطل هييا وفيأ لبنينته العقلية الدينية المكتسبة رغم شكوكه وتساولاته ورغم تمرده كلما سنحت له الفرصة؛ حيث تكشف شخصيته عن أزمة التدين المسيحي الراض للاختلاف، والمغيب عن واقع التجربة الفردية في الحياة، فقد ظل هييا مخلصا لتدينه، ولم يتجاوز التناقض بين نداء الحياة وتعاليم الرهينة.

وعلى سبيل الخاتمة، يمكننا القول بأن رواية عزازيل قد شقّت مسارها التخاطبي، مستعينة بآليات الحجاج لجعل القارئ عنصرا مشاركا في تشكيل الرؤية، فاعتمدت على آليات الحوار والسجال و الجدل، واستراتيجيات التلميح والتضمّن؛ وعملت على تصوير ملبسات العنف الديني، واستجلاء منابع نشأته، مستعينة بجدلانية التضاد في تجربة الإنسان (روح/جسد)، (ذكر، أنثى)، داخل دوائر العنف المُشَقَّرَة، فكان عزازيل هو المعادل

الموضوعي للطرح التضادي (ظاهر/باطن)⁶⁹، ما سمح بتقديم المكونات المعرفية في قالب تخيلي يحتفي بالمتلقي، كعنصر فاعل في تفكيك، وإعادة تشكيل النص، من موقع المساءلة الإستمولوجية، حول العنف الذي ينتقل من ملمح بسيط، ممثلاً برفض سماع فكرة مخالفة إلى جماعات شعب الله المُختار، وإذا كان المؤلف قد اشتغل على النموذج المسيحي، فإن النماذج الدينية الأخرى لا تخرج عن هذه المصفوفة العنفية، باتباعها مسار الإنابة، المُفضية للإبادة، فعزازيل هي محاولة لإعادة كتابة التاريخ الجغرافي، كسلوك سياسي ترسم معالمه قوى التدين المختلفة.

_ الإحالات:

- 1 _ يقام مهرجان جائزة أنوبي في بريطانيا لأفضل رواية مترجمة إلى اللغة الإنجليزية.
- 2 _ نسبة إلى مجلة بانينال التي تُعنى بترجمة الأدب العربي إلى اللغة الإنجليزية.
- 3 _ صدرت عن: دار الشروق، القاهرة، مصر، مارس 2018.
- 4 _ صدرت مجموعة كتب ضد الرواية، كما رُفعت عدة قضايا ضد يوسف زيدان، من قبيل، ازدياء التراث، وازدياء الأديان.
- 5 _ يوسف زيدان: (1958م) كاتب، و فيلسوف وباحث وأكاديمي مصري، متخصص في التراث العربي المخطوط وعلومه، له عدة مؤلفات وأبحاث علمية في الفكر، والأدب، والتصوف، وتاريخ الطب.
- 6 _ يُنظر: د. عزيز محمد عدمان، حدود الإنفتاح الدلالي في قراءة النص الأدبي، مجلة عالم الفكر، ع3، مجلد:37، يناير، مارس، 2009، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ص80.
- 7 _ ما يقابل القرن الثاني عشر ميلادي.
- 8 _ نسبة إلى الأسقف نسطور .
- 9 _ يُنظر: مقدمة المترجم في الرواية.
- 10 _ القرن 5 للهجرة، يقابل بالتقويم الميلادي السنوات ما بين: 1009 إلى 1105.
- 11 _ سُميت بالصليبية، لأن المقاتلين الأوروبيين كانوا يضعون شعار الصليب على ألبستهم.
- 12 _ ظل الأفعى هي أول رواية صدرت ل: يوسف زيدان.

- 13 _ في فقه الإبداع يقول يوسف زيدان: " شروط الإبداع عديدة ولا مفر منها، فمنها المعانات مع الذات ومع العالم..". ويقول أيضا: " الكتابة الحقيقية، جارحة لا محالة، ويتطاير من بين حروفها الشرُّرُ "، ويقول أيضا: " مادام الكاتب يُغازلُ عواطف القارئ ويخشاه، ويسترضيه.. فلا فائدة من الكتابة والقراءة"
- 14 _ يوسف زيدان، عزازيل، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 2008، ص6.
- 15 _ الآية:82، سورة الأنبياء (ومن الشياطين من يغوصون له، ويعملون عملا دون ذلك وكُنَّا لهم حافظين).
_ الآية: 11، سورة الجن (وإنا منا الصالحون ومنا ما دون ذلك كُنَّا طرائق قِدَادًا).
- _ الآية:16، سورة الحشر (إذ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فلما كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ العالمين).
- 16 _ تتسم أطروحات يوسف زيدان بالرؤية الشمولية للأشياء، والتي تربط الأجزاء بالكل.
- 17 _ اللاهوت: هو علم يبحث في وجود الله، وذاته، وصفاته، ويقوم مقام علم الكلام عند المسلمين.
- 18 _ يوسف زيدان، اللاهوت العربي وأصول العنف الديني، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط2، 2010م.
- 19 _ اللاهوت العربي، ص35.
- 20 _ غرامشي هو: أحد أكبر المناضلين الشيوعيين، واشتهر بنظرية: " المثقف العضوي".
- 21 _ غاوري فسواناتان، السلطة والسياسة والثقافة، حوارات مع إدوارد سعيد، تر: نانلة قلقيلي حجازي، دار الآداب، بيروت، ط1، 2008م، ص82.
- 22 _ الرواية، ص64.
- 23 _ يقصد المبيت خارج أسوار الإسكندرية.
- 24 _ هو خطاب السلطة، وهدفه إقامة نظام الطاعة، وهو على شكلين مباشر، وغير مباشر.
- 25 _ الرواية، ص64.
- 26 _ أوشو، ألف باء التنوير، القاموس الروحي لكل الأزمان، تر: د. علي الحداد، دار الخيال، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص10.
- 27 _ يوسف زيدان، اللاهوت العربي، ص179.
- 28 _ الرواية، ص208.
- 29 _ يُنظر: " نظرية المساءلة (La Problématologie) عند ميشال ميار (Michel Meyer)، وهو يرى بأن اللغة في أصلها تتأسس على السؤال، حتى وإن لم تكن صيغة الكلام إستفهامية.ضمن كتابه: De la problématologie, Bruxelles, Mardaga, 1986 .
- 30 _ أمبيرتو إيكو، الفارئ في الحكاية (التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية)، تر: أنطوان أبو زيد، ط1، 1996م، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ص62.

- 31 _ الأفتوم: كلمة سريرية، لها عدة معاني، كشخص، طبيعة، ذات، كيان، ماهية. والأفانيم الثلاثة هي: الآب، والإبن، والروح القدس.
- 32 _ ينظر:رواية: عزازيل، ص12. وينظر كذلك: اللاهوت العربي، ص 73: انعقد مجمع نيقية سنة:325م، وقرر اعتماد الأناجيل الأربعة ورفض باقي الأسفار، وفي مرحلة تالية يكون للتعبيرات المجازية الواردة في الأناجيل الأربعة المقبولة لدى المسيحيين كافة الأثر القوي في الجدل والإختلاف الذي نشب بين الكنائس حول جوهر المسيح وحقيقته، وحول ماهيته وطبيعته، وحول بشريته وألوهيته.
- 33 _ الرواية، ص123.
- 34 _ والدة المسيح الإنسان.
- 35 _ والدة المسيح الإله.
- 36 _ " آريوس هو الطامة الكبرى، والهراطقي الأعظم، والمعادل البشري للشيطان؛ من زاوية نظر الأرثوذكس عموماً، والأقباط خصوصاً. وما من مرة يأتي ذكرُ آريوس، إلى يومنا هذا، إلا تارت نفوس الأقباط ضد المتلفظ باسمه، على الرغم من نزور قرابة سبعة عشر قرناً على وفاته سنة 336(يقع مولده ما بين عامي 256، 270) وهذه الحساسية القبطية البالغة تجاه آريوس، الذي يسميه ابن العسال: آريوس الكافر؛ ليست جديدة. إذ إنها (هي هي) طيلة زمانهم الطويل، فهو اليوم في نظرهم، مثلما كان في نظر أسلافهم قبل مئات السنين: عدو المسيحية الأول."، ينظر اللاهوت العربي: ص114.
- 37 _ هم أتباع الدوناتيين في أفريقيا. وهم أتباع الأسقف الجزائري (دونا الأكبر)، وكان المذهب الدوناتى أول انشقاق عن الكنيسة، برفضه ألوهة المسيح، ظهر المذهب في 305م، وتم حله وإبادة النوميديين (الأمازيغ) اتباع دونا في 411م.فقد مثل الأريويوسيين، والدوناتيين تيار التوحيد لدى الأمازيغ، والذي تمت أبادته.
- 38 _ الرواية، ص 224.
- 39 _ الرواية، ص 229.
- 40 _ الرواية، ص 230.
- 41 _ د. رفعت سيد أحمد،الإسلاموفوبيا والصورة النمطية عن الإسلام، الإسلام في مواجهة العنف، أعمال الملتقى الدولي، تلمسان: 6-7-8، 2012م، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، ص 79.
- 42 _ الرواية، ص 240.
- 43 _ الرواية، ص 242.
- 44 _ اللاهوت العربي، ص 121.

- 45 _ الكاثوليك: قالوا بأن للمسيح طبيعتان (ناسوت، ولاهوت)، ما يشبه فكرة الحلول في التصوف. الأرثوذكس: قالو بأن للمسيح طبيعة واحدة، ما يشبه فكرة الإتحاد في التصوف. البروتستانت: أسسها لوثر مارتن برفض صكوك الغفران، والانشقاق عن الكاثوليك.
- 46 _ اللاهوت العربي، ص31.
- 47 _ المرجع نفسه، ص27.
- 48 _ فلاديمير جيكارنستف، دوران القوة: اكتساب القوة الداخلية، تر: ريماء علاء الدين، دار علاء الدين، دمشق، سورية، ط4، 2015م، ص120.
- 49 _ اللاهوت العربي، ص219.
- 50 _ هي اللعنات في المسيحية، وتقابلها: فتاوي التكفير في الإسلام، رغم أن المصطلح المضاد للمسلم في النص القرآني ليس كافر، بل مجرم: (أَفْتَجَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمَجْرِمِينَ) سورة القلم، آية35.
- 51 _ د.إدمون رباط، المسيحيون في الشرق قبل الإسلام (المسيحيون العرب، دراسات ومناقشات)، مؤسسة البحوث العربية، بيروت 1981م، ص20. نقلا عن اللاهوت العربي، ص135.
- 52 _ وقد غربت شمس عصر الإسكندرية الذهبي، مع مولد ما يُطلق عليه الإمبراطورية الرومانية المسيحية المقدسة التي لم تسمح ببقاء التنوع الفكري، .. وُدمرت مكتبة الإسكندرية في النهاية تماما باعتبارها خرافات وثنية، وبدأ تقليد حرق الكتب الذي لم يكن معروفا، وأصبح القرن الخامس الميلادي بداية عصور الظلام في الغرب. يُنظر: تيموثي فريك وبيتر غاندي، متون هرمس : حكمة الفراعنة المفقودة، تر: عمر الفاروق عمر، إشراف: جابر عصفور، ط1، 2002م، ص16.
- 53 _ الرواية، ص158، 159.
- 54 _ من معانيه كذلك التوازن بين طاقة الأنثى (أفقي) وطاقة الذكر (عمودي).
- 55 _ المعمودية المسيحية لا تحافظ على رمزية الصليب، بل تقوم على إلغاء الخط الأفقي لصالح الخط الشاقولي، فيما يسمى بالرهينة، أي إماتة المادي لصالح الروحي.
- 56 _ الرواية، ص28.
- 57 _ " وتشير جميع الأدلة إلى أن الديانة المسيحية انبثقت مباشرة من الديانة المصرية، فإذا ما درست كلا منهما لوجدت أنهما متطابقتان في كل النواحي باستثناء فهم المصريين لـ الله. وعادت المسيحية لاحقا وشككت بالديانة المصرية رغم أن مصر هي المصدر المحتمل لأصول المسيحية". يُنظر: درونفالو ميليكزديك، السر القديم لزهرة الحياة، ج1، تر: د.إيمان معروف، إشراف وتدقيق: طارق إبراهيم. ص175.
- 58 _ الرواية، ص66.

- 59 _ مَهْد حورس وهو ابن الله في مصر، و هو نسخة من شاموز البابلي، الطريق لمجيء المسيح، فيسوع كان نور العالم، وحورس كذلك الأمر. قال يسوع إنه الطريق والحق والحياة. بينما قال حوروس إنه الحقيقة والحياة. ولد المسيح في بيت لحم (ومعناها بيت الخبز)، وولد حوروس في أنو ومعناها بيت الخبز... يُنظر: دافيد إيكيه، السر الأكبر: معلومات مذهلة عن خفايا الكون، والأحداث، تر: عبير المنذر، الإنتشار العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2005م، ص131.
- 60 _ الرواية، ص68.
- 61 _ الرواية، ص68.
- 62 _ سيميائية التطويح، محمد الداوي، مجلة عالم الفكر، ع1، مجلد 40، يوليو، سبتمبر 2011م، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص132.
- 63 _ دوران القوة، ص143.
- 64 _ المرجع نفسه، ص144. وهو ما يسمى ب: قتل الإيغو.
- 65 _ الرواية، ص367.
- 66 _ فلا وجود لمريم في الأقانيم الثلاثة.
- 67 _ فلاديمير جيكانتسيف، التحول إلى المحبة، الدروب الأرضية، تر: ريماء علاء الدين، دار علاء الدين، ط1، 2009م، ص91.
- 68 _ يُنظر: أوشو، التانترا: الطاقة والنشوة، تر: مكسيم بيان صالحه، دار نوافذ للدراسات والنشر، سوريا، ط: 2012م.
- 69 _ عزازيل في الرواية لا ينفصل عن الإنسان بل هو الإنسان في جانبه الخفي، أو ما يسمى بالعقل الباطن.